

الجدار "العُقْدَة"

بقلم: غيثي النح البشير

لم تكف الدولة المغربية بغزو واحتلال الصحراء الغربية وما ترتب عن ذلك من تبعات خطيرة جرد فيها الشعب الصحراوي من إنسانيته بسبب القتل والتشريد و اللجوء والحرمان والاعتقال والاختطاف وطمر الناس أحياء في مقابر جماعية ونهب خيراتهم، يجرى كل ذلك الى جانب بناء جدار عزل تتناثر حوله ملايين الألغام التي لوثت البيئة وحصدت ارواح الكثير من المدنيين الصحراويين على ضفتي، و مازلت مستمرة في إنتهاكات حقوق الانسان الصحراوي وعلى رأسها حق تقرير المصير.

ويعتبر الجدار الذي شيده المغرب من شمال الصحراء الغربية الى جنوبها في ثمانينات القرن الماضي، جريمة ضد الانسانية لاختلاف عليها تدينها كافة المواثيق والعهود الدولية ومن جرائم الحرب ضد الانسانية بموجب القانون والمعاهدات، لعل أهمها إتفاقية جنيف لعام 1949، وخاصة البروتوكول الاول منها. ورغم ذلك بات الجدار يسبب إحراجا و "عقدة" كبيرة للنظام المغربي امام المجتمع الدولي، فلا هو له الادلة المقنعة لتبرير بقائه، و لا هو صغير الحجم لإخفائه وحجبه عن العالم خاصة بعد موجة الإدانات التي عقبته سقوط جدار برلين.

وإن كنا لا نريد جدلا و لناقشا فيما لاختلاف عليه، إلا أنه إستوقفني مقال نشر في مجلة هسبرس المغربية بعنوان " لهذه الأسباب يُعتبر جدار الصحراء أمنياً وليس عازلاً" لمحمي بمكناس وخبير في القانون الدولي، حسب ما افادت به تلك المجلة الرقمية.

كان هذا المقال السالف الذكر عبارة عن رد واهن على قصاصة نشرتها وكالة الانباء الفرنسية يوم 21 اغسطس الماضي، حيث ان الوكالة نشرت مقالا مطولا عنوانه أهم جدران الفصل في العالم، وكان جدار الذل المغربي العنوان العريض لتلك الاخبار والجدران العازلة الشيء الذي استفز واغضب سلطات الاحتلال المغربية ما دفعها الى تسخير منقفيها و بعض الاقلام للرد على تلك الحقيقة التي يحاول المغرب حجبتها بغربال.

وللعلم فإنها ليست المرة الاولى ولا الثانية التي يحاول فيها المغرب مغالطة و مخادعة الرأي العام، بما فيه الشعب المغربي نفسه. فالحديث عن "المزايا الايجابية" للجدار من المنظور المغربي، كان قد تناوله محامون و دكاترة في منتديات مختلفة، لعل أهمها أكاديميا هي تلك الندوات التي تعقد سنويا في جامعة مونتريال الكندية، بالتعاون مع منظمة ⁱⁱ Association for borderlands studies

و كان الاستاذ بجامعة محمد السادس " اكдал، بلرباط عبد الرحيم المصلوحي، قدم محاضرة يوم 18 ماي 2011 تحت عنوان *Séparer pour pacifier ? « Mur des sables » et constructions sécuritaires au Saharaⁱⁱⁱ*

بينما قدم الاستاذ صديقي سعيد أستاذ العلاقات الدولية بجامعة فاس، محاضرة أخرى تحت عنوان " جدار الصحراء: وضعه "The Sahara Wall: Status and prospects" و التي نشرتهما مجلة (Journal of Borderlands Studies^{iv}) بالشراكة مع الجامعة المذكورة.

و الجدير هنا هو تذكير هؤلاء "الخبراء و القانونيين" الذين قدموا تلك البحوث، أن هذا الجدار العسكري لا يمكن معالجته بتاتا بمعزل عن السياقات العام للمشكلة وهي أن قضية الصحراء الغربية مسجلة في وثائق الامم المتحدة كقضية تصفية إستعمار.

و عليه فإن الجدار هو من مخلفات ذلك الغزو و الاحتلال لغالبية الاراضي الصحراوية حيث طرد الشعب الصحراوي من ارضه بالقوة و قسمت العائلات و الافراد لمدة تفوق الثلاثون سنة بفعل هذا الحاجز الغريب علي تضاريس الصحراء الغربية .

ولاشك ان مجرد التفكير في بنائه هو اكبر دليل على عقامة فكر مخطئيه وجشعهم من اجل السيطرة على الارض ونهب خيراتها ومحاولة الدوس على كرامة شعبيها بإرتكاب اجسم فظاعات حقوق الانسان في حقه، ولكن ورغم

المجهود الذي سخر لبنائه و الهالة الإعلامية التي صاحبتة، لم تمر سوى سبع سنوات من تشييده حتى تأكد الحسن الثاني قبل أي أحد أن الجدار ما هو إلا **مسكن** ظرفي ليس إلا.

وما قد يستغرب المرء هو وجود اساتذة و مثقفون مغاربة يبيعون هوى اقلامهم لمحاولة تبرير جرائم تستنكرها كل الديانات السماوية، و بدلا من التنديد بهذه الجريمة النكراء ، يقومون بمحاضرات ليس فقط لتبرير إستمرار الجدار ، فحسب بل لتحريف وتزوير الحقائق التاريخية التي ساهمت في تشييد هذا الجدار و محاولة التخفيف من حدة تأثيرات جريمة ضد الانسانية لا تتقدم.^٧

و من عنوان المحاضرات و حتى طريقة تدوال الصحافة المغربية لموضوع الجدار، يستشف المتتبع حجم المغالطات و الاستدلالات التي لا تحتوى على أبسط الحجج، و من ثم يجد المرء نفسه مظطرا إلى مساءلة المحاضرين و الناطق بإسم الحكومة المغربية معا:

- إذ كان كما يزعم المحاضرون مبدأ الفصل "*Separer*" يتيح أو يقيم السلام "*Pacifier*" ففي هذه الحالة من هم المفصلون أو المبعدون إذن؟ أليسوا هم الصحراويون اصحاب الارض؟ وإذ كان هناك سلام "مزعوم" من يجني تلك الفائدة؟ وهل بالفعل هنالك إستقرار حقيقي؟ اليس الجيش المغربي هو الذي يستغل الحالة لترهيب السكان الصحراويين و نهب ثرواتهم ارضهم الطبيعية؟

- هل الجدار المغربي، أقيم بين المغرب و الصحراء الغربية، حتى يحترز من عن من؟ ، ام أنه اقيم به و بالقوة ليقسم الشعب الصحراوي و أرضه؟ و هل في المقابل عرف الصحراويون قط بالإرهاب ، وإذ كان الجواب كما هو الحال بالنفي، فلماذا يبعدون؟ ولماذا الإبقاء علي هذا الجدار حتى اليوم؟ و ماهي اسباب و جود هذا الجدار إذن؟ الا يعتبر من مخالفات الغزو المغربي للصحراء الغربية؟.

هل يعلم المحاضرون ان هناك بعثة اممية لحل مشكلة الصحراء الغربية طبقا للمشروعية الدولية وقرارات مجلس الامن؟ ألا تعلمون أن حكومتكم تتفاوض مرغمة على ذلك مع جبهة البوليساريو ، ليس فقط على الجدار الذي تبررون إستمراره فحسب، بل على كامل الاراضي التي تبلغ مساحتها 266.000 كلم مربع، و هل ترضون لمقامكم العلمي و الاخلاقي و حتى الديني ان تكونوا مدافعين عن جرائم و مناهضين للعدالة و الشرعية الدولية ، ولحقوق الانسان و القانون الدولي الانساني؟

و تستمر المغالطات، بحيث أنه و خلافا لما قاله الباحث المغربي صبري الحو، أن القرار 658 و المندرج ضمن اتفاق وقف إطلاق النار، "يجعل ذلك الاتفاق من المنطقة شرق الجدار من مسؤوليات الأمم المتحدة وحيدة" فهذا القول تنقصه الدقة و المصادقية، حيث أن الاتفاق رقم ^{vi}1 يحدد بما لا يدع مجالا للشك من هو الطرف المسيطر على الجانب الشرقي للجدار، حيث ما يجب ان يعلمه الشعب المغربي أن الجزء الشرقي من الجدار يعتبر أراضي محررة و تمارس عليه الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية سيادتها، و تشييد المشاريع و تبني المؤسسات و بنى تحتية مثل المدارس و المستشفيات و قرى سكنية الخ و هناك جيش مرابط على مرأ و مسمع من الامم المتحد، وهو السيد في الميدان، فهل لا علم لكم بذلك؟ ألم تكتب مجلتكم "هسبرس" في يوم 22 سبتمبر 2014 هذا العنوان: "تعرضت دورية عسكرية تابعة للبوليساريو تضم سيارتين لانفجار لغم أرضي تسبب في مصرع شخصين و جرح خمسة آخرين ثلاثة منهم إصاباتهم بليغة".

كان من الاحرى بالمتقف المغربي و الحقوقيين المغاربة أن يجمعوا على موقف مشرف حول قضية الجدار الذي يقسم الشعب الصحراوي ارضا و شعبا، بمعزل عن إملاءات المخزن.

أما الحكومة المغربية من جهتها، التي تتفاوض مع البوليساريو علي الصحراء الغربية، تحاول أن تنقصر شخصيتين متناقضتين، وكلاهما لا تقل صعوبة عن الاخرى، الاولى هي محاولة حجب أنظار الشعب المغربي عن الحقيقة الكاملة فيما يتعلق بمشكل الصحراء الغربية، بما فيها جدار الاحتلال، و الثاني هو التفاوض و لو على مضض مع جبهة البوليساريو الذي يعترف بها ضمنا في الامم المتحدة و يجالسها ويتفاوض معها.

وصلة بقصاصة و وكالة الأنباء الفرنسية ،كان إمتعاض الحكومة المغربية سريعا، حيث أكد وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة المغربية، في بلاغ يوم 24 اغسطس الماضي، "أن المعطيات المرافقة لقصاصة وكالة الأنباء الفرنسية "فرانس بريس"، والتي تقدم من خلالها الجدار الدفاعي الرملي بالصحراء المغربية ضمن جدران الفصل الرئيسية في العالم، أنها مغلوطة وتجافي الواقع"vii

ونشر ذات الوزير المغربي على صفحته على الفيسبوك^{viii} "أن الجدار "الدفاعي" الرملي تم بناؤه لضمان حق المغرب في المحافظة على أمنه!!!، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يا سيادة الوزير لا تقومون بتشديد جدار علي حدودكم وفوق أرضكم ؟ حين ذلك ستأتمن المنطقة المغاربية برمتها من شر صادراتكم!، ويستترد الوزير القول، "أنه لمكافحة استخدام الصحراء كنقطة عبور بالنسبة للشبكات الإرهابية والاتجار بالبشر والمخدرات!"، و هنا نتساءل من أين تأتي تلك المخدرات ياسيادة الوزير؟ أليس من الطرف الخاضع للسيطرة المغربية؟ نعم يعتبر هذا الجدار اليوم هو بوابتكم للاتجار بالبشر و المخدرات^{ix}.

وإن كنتم كما قلت تحافظون على أمن المنطقة، فلماذا تقوم إسبانيا ببناء سياج بينها و بينكم في سبتة و أمليبية؟ .

ومهما كثرت البلاغات و القصاصات يبقى الجدار المغربي غير شرعي، لأنه إمتداد وتكريس للإحتلال كذلك. ولأن المقام هنا ليس لمناقشة اهمية الجدار من عدمها، إلا أنه إذ كان أي خبير عسكري يعرف ان الاهمية العسكرية والاستراتيجية للجدار المغربي محدودة جدا،و أثبتت فشلها، فإن أهدافه غير العسكرية هي عيب و وصمة عار على الدولة المغربية .

وهكذا قد اثبتت كل التجارب السابقة فيما لايدع مجالا للشك ان سياسة الجدران هي حلول مؤقتة و هي إقرار صريح بالفشل، لذلك هي غير ناجعة ومدانة دوليا من كل منظمات حقوق الانسان و لن يكون الجدار المغربي استثناء ، بل أنه يحمل في طياته الإفراد بالفوز بأكثر الالقب بشاعة وإجراما...و التي لن تشرف بطبيعة الحال لا تاريخ الجيش المغربي و لا المملكة المغربية نفسها؟ فالدول كما يقال لا تبنى بالمساحة الجغرافية لوحدها، بل بالتاريخ، وباختيار مصائر شعوبها.

و من الغريب ان تكون كل النخبة المغربية، إن لم أقل جلها و بكل اطرافها ،تدافع عن كل اطروحات نظام ارتكب و مازال مستمرا في ارتكاب شتى الجرائم ضد الانسانية. و لاعلم لنا في التاريخ الحديث لسياسات عدائية لاي دولة مسلمة كانت،أو غيرها لم يكن لها معارضين من مواطنيها أنفسهم.

فلاحتلال الفرنسي للجزائر ، كان هناك الاف الفرنسيين من مختلف شرائح المجتمع الفرنسي ،بمثقفيه و رجالته وفلاسفته في مقدمتهم جون بول سارتر وفرانز فانون وغيرهم كانت لهم مواقف تضامن مع الشعب الجزائري لإنهاء الاحتلال^x، وحتي منظمة "بتسليم" الإسرائيلية لحقوق الإنسان ترافع من اجل الحقوق الشرعية للفلسطينيين بما في ذلك رفضها القوي للجدار الذي بنته إسرائيل^{xi}، وقيامها بحملات التحسيس بطرق راقية جدا لتأثيرات الجدار الاسرائيلي على الفلسطينيين^{xii}، ناهيك عن قصة الاف الامريكيين و المنظمات الذين كانوا ضد حرب دولتهم ضد الفيتنام^{xiii}.

ويبقى السؤال المحير، كيف أن العالم بمشرقه و مغربه يناهض سياسات الإبعاد و التفرقة و الجدران، في وقت نجد متقفين عرب و مسلمون يدافعون عنها ويطالبون بإبقائها للتلذذ بمعاناة ومأساة الشعوب المظطهدة !!!

ⁱ <http://www.hespress.com/orbites/275011.htm>

ⁱⁱ <http://absborderlands.org/>

ⁱⁱⁱ <http://calenda.org/203900?formatage=print&lang=pt>

^{iv} <http://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/08865655.2012.687215#.VeCJxiXtmko>

v <http://removethewall.org/>

vi <https://minurso.unmissions.org/Default.aspx?tabid=11421&language=en-US>

vii <http://www.ahdath.info/?p=101623>

viii <https://www.facebook.com/mustapha.khalfi.official>

ix <http://futurosahara.net/?p=9054>

x <http://doc.aljazeera.net/cinema/2012/07/201272462749114191.html>

xi http://www.btselem.org/arabic/topic/separation_barrier

xii <https://www.youtube.com/watch?v=9vViK8wIoJc>

xiii https://es.wikipedia.org/wiki/Protestas_contra_la_Guerra_de_Vietnam